الإغارة علي قوة مصر الناعمة

(مدخل لدراسة فعل الثورة المضادة في التعليم)

إعداد

أ.د/ عبد اللطيف محمود محمد

أستاذ التخطيط واقتصاديات التعليم

كلية التربية– جامعة حلوان.

الإغارة علي قوة مصر الناعمة

(مدخل لدراسة فعل الثورة المضادة في التعليم)

أ.د/ عبد اللطيف محمود محمد

"ليكن الوطن مكان سعادتنا أجمعين نبنيه بالحرية والفكر والمصنع"

رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٣)

(العبارة السابقة لمفكر النهضة العربية الحديثة رفاعة رافع الطهطاوي والتي كتبها في أواخر القرن التاسع عشر، وتوضح مدي ما نشهده الآن من تراجع، وما وصلنا إليه)

مقدمـة:

- لا تملك الأمم والشعوب إلا مواصلة الحياة تبحث في تاريخها لتتعلم من تجاربها وإنجازاتها وأخطائها وتجدد آمالها، وتملك من الإرادة والعزم ما ينير لها السبل لمستقبل أفضل بلا تكرار لأخطاء الماضي حتى لا يتحول الخطأ إلي خطيئة.
- صنع الشعب المصري بكل قواه وفئاته ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ أذهلت العالم بتحضر أهدافها ونبل أدائها وصلابة وتضحيات شبابها, وبعد أن أزاحت الثورة رأس النظام السابق, بدأت مرحلة صعود تيار الثورة المضادة وخطوات تبديد الحلم الشعبي في التغيير.
- لقد أحدث الشعب المصري ثورة حقيقية كشفت للعالم عن أنبل ما فيه من قيم وتحضر ووحدة, وفجأة بدأ التحول من حالة نبل الثورة وقيمها, إلي حال الأزمة وتداعياتها, والتي باتت تهدد لأول مرة هوية المجتمع وبنية ومكونات الدولة المصرية, والتي طالما تحدت وتجاوزت كافة ما واجهها طوال تاريخها الطويل من أزمات ومحن.

لكن الجديد في الأزمة التي نعيشها الآن أن التهديد فيها آت من داخلنا, وأنه كاشف عن خلل بنيوي داخل هويتنا وثقافتنا وتراثنا ظل مسكوتا عنه وكامنا فينا, وفاعلا بالتشويه المعلن والخفي داخل فكرنا ومؤسسات التنشئة في مجتمعنا عقودا طويلة, ثم تمكن من الإمساك بأنبل اللحظات في تاريخنا المعاصر, وأستخدم آليات الثورة ونفس شعاراتها حتى وصل إلي سلطة الدولة, وبدأ يكشف عن عداء صريح لكل نداءاتها وفصائلها، وبدأ يطبق فور وصوله للسلطة، مشروع بديل عن

فكر الثورة ومطالبها في الحرية والعيش والكرامة. ويظهر تحالفاته الحقيقية والمعادية لها سواء في الداخل أو الخارج.

ورغم فجاجة ما حدث وخطورة ما يحدث من صراع علي مستقبل مصر بين قوي الثورة والثورة المضادة, فإن حراك الشارع لن ينتهي وأسئلته المشروعة تظل معلقة في رقابنا مطالبة بتفسير عن حقيقة ومعني ما جري ويجري علي أرضنا وحقيقة الأمر ما جري لفكرنا.

كيف كسبت الثورة المضادة معارك التمكين من السلطة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١؟

كيف أضاعت الثورة ثوريتها وثوارها؟

وبداية نسأل:

ماذا يعني مفهوم الثورة المضادة؟

ونجيب أن الثورة المضادة:

فعل يناقض فكر وحركة الثورة الحقيقية وتقوم به قوي اجتماعية متنوعة في انتماءاتها الفئوية والفكرية, توحدها حالة الشعور بتهديد مصالحها أو طموحاتها أو سلطاتها العلنية أو الخفية نتيجة إطاحة الثورة بقواعد النظام الاجتماعي والسياسي القديم, وتستند في حركتها وحشد أنصارها علي دعاوي عقائدية أو أطر قيمية وقواعد ثقافية رمزية ومدعومة أحيانا بهالات أسطورية مستمدة من الماضي الآمن وملوحة بالخوف من مغامرة المستقبل المجهول.

والثورة المضادة محاولة من قوي اجتماعية تنتمي لفئات عمرية وفكرية وطبقية مختلفة لتزييف الوعي الجماهيري بالحاضر والمتجه نحو بناء المستقبل بأسس ومعايير تخلط فيها بين المقدس والمدنس, والمعلن والخفي وتوجه كل أسلحتها نحو هدم القوي الناعمة للمجتمع قبل الانقضاض علي القوي والنظم الاجتماعية للتمكن منها والسيطرة علي مقدراتها وتوجيهها لمصالحها.

المفهوم الملغوم للثورة المضادة:

يعد هذا الوصف السلبي لمضمون مفهوم الثورة المضادة سببا جوهريا في حالة العزوف عن الاهتمام به أو التأصيل له حيث لا يمكن لأي طرف أن يصف أعماله أو أفكاره وتوجهاته بما يوحي به من معني, فالطغاة وعتاة المستبدين كانوا

دائما ما يصفون أنفسهم بالعدل والرحمة والديمقراطية مستندين إلي مبررات وأسانيد دينية وفلسفية بل وأسطورية.

لذلك فقد أهتم الفكر السياسي في معظم الأحوال برصد وتحليل مفهوم وفعل الثورة ذاتها وتداعياتها من الناحية الفلسفية والسياسية واجتماعية والنفسية والتاريخية, وعلي العكس من ذلك نجد شح واضح وقلة فيما يتعلق بالثورة المضادة من كتابات سواء من ناحية المفهوم أو الفعل السياسي مما يصعب من مهمة التعرض له بالبحث في كل جوانبه.

رغم قلة الكتابات المعنية بموضوع الثورة المضادة في الفكر السياسي العربي والعالمي, فإن الثورات الكبرى التي شهدها التاريخ رصدت قيام ثورات مضادة لها, نجد أنجلز يرصد الأحداث والثورات التي عاشتها أوروبا في القرن التاسع عشر وانكسار الثورات في كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وتحديدا في أبريل سنة ١٨٤٨م معتبرا ما حدث تعبيرا عن قدرة وسرعة الثورة المضادة علي الحركة وكسب المواقع وإنجاز الأهداف, كما عرض كرين برينتين في كتابه تشريح الثورة لأحداث الثورات العالمية الكبرى في العالم والأدوار التي قامت ضد حركتها من قوي الثورة المضادة لمحاولة إفشالها وإن كان لم يطلق عليه صراحة مسمي الثورة المضادة.

وفي القرن العشرين كتب هربرت ماركيوز عن الثورة والثورة المضادة صراحة في دول ومجتمعات أوربا وأمريكا وثورات الشباب في عقدي الستينيات والسبعينيات, وتعد الكتابات السياسية والأعمال الأدبية لفلاسفة الاتجاه الوجودي في نفس الفترة كاشفا لتطور أدوار وأساليب قوي الثورة المضادة علي مستوي العالم وما باتت تمثله وتعبر عنه من قوي ومصالح عالمية كبري.

وخلال فترة الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية بين أمريكا والغرب من ناحية والاتحاد السوفيتي السابق ودول حلف وارسو من ناحية أخري زادت حدة الاستقطاب العالمي وخبت همة البحث عن مفهوم الثورة المضادة في لهيب حرائق الحروب الإقليمية التي اجتاحت مناطق العالم.

وكانت تجربة نجاح الثورة الشعبية في شيلي من الوصول للحكم بالانتخابات البرلمانية الحرة في عام ١٩٧٠م مؤشر خطر عملت قوي الثورة المضادة المحلية والعالمية علي إجهاضها عنوة وبالقوة المسلحة حتى لا تعطي مثالا ناجحا يحتذي به عالميا وتحقق ذلك فعلا بمساعدة الولايات المتحدة المباشرة مما مثل بداية

مرحلة الانقضاض الفعلي علي النماذج والتجارب الثورية في العالم والتي بدأت فعليا بضرب هيبة وقوة التجربة الناصرية في المنطقة العربية في عام ١٩٦٧م.

مراحل صراع الثورة والثورة المضادة في المنطقة العربية:

١- مرحلة تكون الدولة الحديثة:

- شهدت المنطقة العربية منذ بداية عصر النهضة العربية وبداية تبلور الوعي القومي وبناء الدولة الحديثة في عهد محمد علي عام ١٨٠٥م أول صدام فعلي بين مشروعين لا يلتقيان هما مشروع التحديث والاستنارة ومشروع العودة إلي الماضي والتشدد الأصولي وقد لا يكون صدفة أن تكون أولي حروب جيش محمد علي الخارجية (وهو أيقونة التحديث في دولته الجديدة) كان في الجزيرة العربية للقضاء علي بوادر هذا المشروع الأصولي المتشدد المتمثل في حركة محمد بن عبد الوهاب.
- ظل الخصام التاريخي قائما بين المشروعين رغم تغير مفرداته وأشخاص قياداته كما ظل العداء للجيش المصري الحديث من قبل كافة فصائل وتنظيمات المشروع البديل قائمة تتجدد مع كل ظهور قوي لهذا الجيش علي مسرح الحركة الوطنية والقومية في مصر والمنطقة العربية حتى تبدي هذا الحقد في أن الكثير من رموز المشروع البديل أعلنوا فرحهم وشماتتهم عندما هزم في معارك ١٩٦٧م، ولم يخفوا مساندتهم لأعدائه في عدوان ١٩٥٦.
- كما شهدت المنطقة العربية في نفس الفترة حصاد النتائج المترتبة علي قيام الثورة والثورة المضادة في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر وظل الفكر العربي في تحليلاته واستجاباته للحضارة الأوربية يحافظ علي مسافة بينه وبين ما يحدث بها من نتائج اجتماعية وسياسية للصراع تحت إدعاء الخصوصية الثقافية وثوابت الهوية العربية ورغم معايشة أهم مفكريه للتفاعلات الاجتماعية والسياسية لتداعيات الظاهرة الثورية في أوربا وكل تجلياتها الحضارية فأنه سعي لتجنب ما تصوره خطر علي جوانب خصوصية حياتنا الاجتماعية والثقافية متصورا ثبات مكونات الهوية وصيرورتها.

- لكن مسافة الابتعاد سرعان ما تحولت إلي **فجوة سقوط** كما وصفها غالي شكري في كتاب النهضة والسقوط من خلال تغلغل عناصر الثورة المضادة

لكافة أشكال ونظم التحديث التي أقامتها الدولة المدنية الحديثة وتزايدت اتساعا مع كل يوم نتيجة لما شهده العالم من ثورات علمية وتكنولوجية وفكرية حتى وصل إلي **المجتمعات الشبكية** لعالم اليوم.

- نتج عن ذلك صعود سياسات وثقافات سلبيه طالت المنطقة العربية وأسهمت في تشويه خريطتها وبنيتها ونظمها الاجتماعية ومحاصرة وتدمير مشروعات التحديث والنهضة منذ أوائل القرن التاسع عشر وأهدرت عناصر قوتها وحدت من قدرتها علي الاندفاع نحو تحقيق أهدافها في **الحداثة**، ومن ثم انقطاعها عن التواصل مع متطلبات **مرحلة ما بعد الحداثة**, فخضعت المنطقة العربية للتقسيم السياسي والعرقي بعد احتلالها من قبل الدول الاستعمارية لضمان أضعافها وزرع كيان استيطاني استعماري معادي لطموحاتها في الوحدة والتقدم ولاستمرار استنزاف قدراتها ومقدراتها.
- راحت القوي الاستعمارية تعمل جاهدة لصنع ما هو أخطر وأقدر علي تحقيق وإنجاز أهدافها وبأقل كلفة وذلك بتقوية وتنمية التيارات الدينية المختلفة في المنطقة والتي يمكن أن يشكل الصراع المذهبي بين أبنائها أهم عوامل إجهاض ثورتها وإجهاد ثوارها, وقد لقي هذا الهوى الاستعماري استجابات سريعة من تيارات عديدة بقيت تحت التجريب والتطوير وصولا إلي ما عرف فيما بعد بتيارات الإسلام السياسي أو الأصولية الإسلامية الذي بدأت ملامحه الفعلية مع ظهور جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨م والتي أنشق عنها أو تخرج منها معظم تيارات وتنظيمات الإسلام السياسي والتي انتشرت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

٢ - عناصر الثورة المضادة في تاريخ مصر الحديث:

- عايشت مصر طوال تاريخها الحديث ومع بناء الدولة الحديثة في عهد محمد علي حالة يمكن تسميتها **(بتصالح المتناقضات)** كانت هي الممهد والراعي لنمو قوي الثورة المضادة, فقد أقامت علي أرضنا جاليات مختلفة المصالح والتوجهات والعداء في أوطانها, لكنها تصالحت أو اتفقت معا وعلينا, ولم ندرس أو نهتم! وجاءت علي أرضنا قوي محتلة عديدة, حاربت معاركها هنا سواء من أجل مصالح تجارية أو إستراتيجية ولكنا لم نفرق في تعاملنا معها كعدو حربا أو سلما!.

- تعايش علي أرضنا وفي سلوكنا تيارات ثقافية وتراثية تجمع مابين المقدس الديني والموروث الحضاري من الفرعوني إلي الإسلامي مرورا باليوناني والروماني والقبطي, ولم نجتهد في التنقية والفرز بين ما فيها من الثمين والغث , فبقيت ستائر حولنا تحجب الرؤية بقدر ما تحمينا من رياح التغيير.
- جسد تاريخنا الحديث تلك المتناقضات حين تمكنت مصر كأمة صغيرة أن تنتصر في أقل من عشر سنوات فاصلة مابين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علي جيوش أكبر إمبراطوريتين في التاريخ وهما إنجلترا وفرنسا وإخراج جيوش حملة نابليون عام ١٧٩٨م وحملة فريزر عام ١٨٠٧م, ثم اختارت لها حاكما من غير أهلها بل وطالبت به وفرضته.
- عندما حرك أحمد عرابي بثورته هوية مصر معبرا عن وحدة الشعب والجيش ضد استبداد الحاكم الظالم المستند علي مسمي الخلافة, جاء الغدر من الداخل مواكبا للغزو من الخارج ومعينا له وشهدت الكثير من الكتابات الصحفية خلال فترة الاحتلال بعد هزيمة عرابي, تراجعاً وتشكيكا في مدي قبول ووضوح فكرة الثورة بالوجدان الشعبي الذي أرتبط بالثورة العرابية وتفاعل معها وألتف حول قادتها, في الوقت الذي تخلت عنها فئات الأعيان وكبار ملاك الأراضي وكبار الموظفين الحكوميين من الطبقة الوسطي.
- تعرضت فكرة الثورة لعملية تزييف وتجريف ممنهج فأطلق عليها **(هوجة عرابي)** كي تشوه الفكرة في الوجدان الشعبي, واستخدمت الأوصاف والأساليب الرخيصة في حملة دعائية , للحض علي كراهيتها وتجريمها وطنيا وتكفيرها دينيا, وفي مواجهة ذلك قام التعبير الشعبي بفنون الرسم بالوشم والشدو بالمواويل والحكايات والأمثال في الأسواق والموالد بالدفاع عن الثورة وأبطالها والتذكير بمعاركها ونبل غاياتها.
- وجد الاستعمار الإنجليزي طوال فترة بقاءه علي أرضنا الكثير من الخدام والمبررين لسياسته ممن أسماهم اللورد كرومر **(أصحاب المصالح)** وهم في حقيقة الأمر أول نبت للثورة المضادة علي بعد أن ارتبطت مصالحهم بتواجده.

- تجددت فكرة الثورة مع صوت جريدة اللواء وأن ظلت خافتة وحالمة, وتوارت في الدعوة لحب الوطن ومقاومة الاحتلال الأجنبي لكنها ظلت علي ولائها للخلافة العثمانية كوعاء جامع لطموحاتها, وبعد ما غيب الموت الزعيم الشاب, مصطفي كامل ودقت طبول الحرب العالمية الأولي, وشهدت مصر بعض ويلاتها, ظلت فكرة الثورة تراوح مكانها, **حيث بدأت قوي الثورة المضادة تتعمد الفصل بين فكرة الثورة كمفهوم سياسي ومدني مع وجوب الطاعة للحاكم كولي للأمر كمفهوم ديني ملزم للرعية من خلال كتابات جريدة المؤيد وحزب الأمة وحزب الإصلاح علي المبادئ الدستورية وجريدة المقطم.**
- بإنتهاء الحرب العالمية الأولي خرج الشعب المصري مطالبا بالاستقلال في ثورة ١٩١٩م وقدم التضحيات والشهداء ويعد الحصول علي الاستقلال المشروط وإعلان دستور ١٩٢٣م وتشكيل سعد زغلول للحكومة بداية ما عرف بالمرحلة الليبرالية في **عام ١٩٢٤م, وهو نفس العام الذي** شهد إلغاء دولة الخلافة العثمانية في تركيا واستعدت قوي الثورة المضادة لمرحلة المواجهة من خلال **التعليم والثقافة والعمل الاجتماعي** كميدان آمن لحركتها وأعمق تأثيرا لفكرتها المناقضة لفكرة القومية والدولة الحديثة المدنية.

٣- التعليم كحاضنة لتيارات الثورة المضادة في مصر:

شكل إجهاض النخبة والزعماء الدينيين للزخم والحالة الثورية للجماهير في مصر بعد خروج الحملة الفرنسية ورفضها تولي ولاة الدولة العثمانية أو عودة فلول المماليك للحكم, أول بداية للصراع بين فكر الثورة والثورة المضادة في مصر علي امتداد تاريخها المعاصر.

- شارك مشايخ الأزهر ورجال المذاهب الدينية في عدد من الثورات الشعبية قبل وأثناء حملة نابليون علي مصر, لكنهم أسرعوا بعد خروج الحملة بإعادة الأوضاع كما كانت علية قبلها.

فقد قاموا بعملية تصفية سريعة وقاسية, لما كان يمثل إرهاصات للتغير الاجتماعي في حياة وثقافة وعادات المصريين, مستغلين في ذلك الفعل الديني والقيمي في غير موضعه الصحيح, ونقصد بذلك تصفية ما عرف بـ**(ثورة النساء)**

والتـي شـاهدتها مصـر قبيـل رحيـل الحملـة الفرنسـية ومطالبـة النسـاء المصـريات بالمساواة وحسن المعاملة, بعد ما شـهدوا من طرق تعامل الفرنسيين مـع زوجاتهم, ولذلك تم التركيز علـي حـالات بعض النسوة ممن تعاملن مـع الفرنسيين أو قـاموا بتقليدهم, وتم إعدامهن بتأييد من ذويهم, وكان من أشهرهن زينب بنت الشيخ خليل البكري الذي كان قد عينه نابليون نقيبا للأشراف, بدلا من الشيخ عمر مكرم الذي قاد تيار المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية.

كـان هـذا الحـدث الرمـزي, دالا علـي أن رجـال الـدين والمشـايخ رغـم تعـاونهم الواضح مع نظم التغيير التي فرضتها حملة نابليون ومشاركتهم في مجالس الحكم والإدارة الجديدة يريدون أن تعود الأوضاع الاجتماعية كما كانت عليه قبل الحملة, **ويلزم الكل مكانه الذي كان عليه قبلها.**

وسياسـيا كـان الفعل الثوري الـذي تـوافر للنـاس خـلال مقاومـة المحتل كافيـا للاندفاع بمصر لوضع جديد, والارتقاء بها نحو انجاز مهام مرحلة التغيير الحقيقي اللازم لإحداث النهضة, لكن تم تجاوزه وشل حركته وتجميد اندفاعه.

ألم يكن مريبا أن يأتوا بمن يتولى حكم مصر من خارجهم وخارجها, وأن تعود مصر كما كانت تحت سيادة الدولة التي فشلت حتى في حمايتها من الغزو الأجنبي.

استمر تيار الثورة المضادة ناقدا ورافضا لتجربة محمد علي في التحديث بعد تهمشـيه وإبعـاده لـدور رجـال الـدين ورمـوزهم وإانقاصـه لـبعض امتيـازاتهم الماليـة والتأثير علـي مكانتهم الاجتماعية وظهر توجههم صراحة لدي كبار مفكريهم فيما بعد أمثال: الإمام محمد عبده(١٨٤٩-١٩٠٥م)، ورشيد رضـا(١٨٦٥ – ١٩٣٥م وغيرهم.

ظل التعليم منقسم لتيارين يتجاذب كل منهما الآخر ويحاول اضعافه كما حرص كل منهما في صيغته الرسمية أو أدائه العلني علي البعد بل والترفع عن قضايا الشأن العام بجوانبه الاجتماعية والسياسية والفكرية.

– كان الهدف الأسمى للتعليم الحديث في مصر منذ بداية القرن التاسع عشر وبدايـة اليقظـة القوميـة علـى يـد رواد "التنـوير بـالتعليم" وعلـى رأسـهم رفاعـة الطهطـاوي وعلـي مبـارك ومحمـد عبـده. هـو إحيـاء مشـروع النهضـة الحديثـة مسلحة بالتراث بعد تجديده , ومنجزات العلم الغربـي بعد إتقانـه, وتحويل ذلك إلـى طاقـة تنقل المجتمعـات الشـرقية أفرادا ومؤسسـات إلـى وضـع يمكنـه مـن

تجسير الفجوة الحضارية التي كشفتها المواجهة مع الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م.

- وإذا كان مشروع النهضة قد توقف عمليا بمعاهدة سنة ١٨٤٠م، فإن محاولات الرواد الذين تحولوا بعد البعثات التي أرسلها محمد على إلى جسر لعبور الحضارة الغربية إلى الفكر العربي, لم تتوقف رغم اختلاف الظروف السياسية، وحاولوا على قدر ما أتيح لهم من فرص كسب التأييد لأي خطوة في الاتجاه نحو تطوير التعليم المصري الحديث ليكون أكثر قدرة وفاعلية على إحداث التغيير المطلوب اجتماعيا.
- جاء سعد زغلول وصحبه في ١٩١٩م بعد ثورة عرابي ١٨٨١م واجهة لثورة الفلاحين والضعفاء في القرى والمدن, وللمطالبة بالحق في حياة حرة ووطن مستقل, وكان دستور ١٩٢٣م والنص فيه علي دولة مدنية وملكية مقيدة والقبول باستقلال مشروط , هي الخيارات الممكنة, فلم يكن أمام الثورة أو إمكانها القفز على أوضاع دولية جعلت الدولة المحتلة لمصر مغرورة بانتصارها بعد الحرب العالمية الأولي.
- وكان التعليم الحديث في مصر قد عزز مواقعه بإعلان مشروع الجامعة الأهلية من بيت سعد زغلول في ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٦م ببيان تاريخي حدد أهمية التعليم في الارتقاء بالأمة ورفع شأنها بين الأمم المتقدمة.
- رغم الدور الفاعل للجامعة المصرية في بنية نظام التعليم ودفع جهود التحديث الاجتماعي والاقتصادي في مصر لكن بقي تأثيرها ضعيفا في البنية الثقافية وأنماط العلاقات السائدة في المجتمع والتي سيطرت عليها بشكل مؤثر قوي التيارات المحسوبة علي الثورة المضادة من خلال الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخيرية وبعض الصحف والمجلات والمدارس التابعة لها والتي زادت من انتشارها داخل الريف والمناطق النائية والأقل حظوة.
- ظل الصراع قائما طوال فترة ما عرف **بالمرحلة الليبرالية قبل ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م** حول قضايا التعليم والمجتمع بين مختلف القوي والأحزاب السياسية في مصر وكان تيار الثورة المضادة قد بدأ يظهر علي سطح الحياة السياسية يعد تشكيل جماعة الأخوان المسلمين في عام ١٩٢٨ واهتمامها بالعمل المباشر في مجال التربية وقضايا التعليم.

- كان التعليم حاضرا طوال تلك المراحل من تاريخ مصر وفاعلا فيها سلبا وإيجابا, ساند وشارك في كل منها, لكن دوره وموقفه الحقيقي من الثورة والثورة المضادة في كل مرحلة لم يقيم بموضوعية ولم يخضع للبحث المعمق.
- والمقصود بالتعليم هنا النظام والكيان, البنية والأهداف والأداء والممارسة والفعل المنتج والمكون للقيم والسلوكيات التي تحوز الرضا والقبول الرسمي والاجتماعي وتحض عليه.

٤- مرحلة بناء الدولة القومية المستقلة:

كشفت مرحلة مواجهات ثورة ٢٣يوليو مع المشروع الاستعماري الغربي ومع قوي الرجعية الداخلية والإقليمية المعادية لها منهجا وغايات ولفتت الأنظار نحو المضمون والمفهوم الفعلي للصراع بين قوي الثورة وقوي الثورة المضادة في المنطقة, والتي كانت تزداد حدة كلما اقتربت الثورة من تحقيق أحد أهدافها الاجتماعية أو التنموية أو السياسية.

وأتضح في خطب جمال عبد الناصر الوعي بتلك القضية خاصة بعد التوجه الاشتراكي والاجتماعي للثورة في الستينيات كما كتب توفيق الحكيم في أواخر الستينيات كتابا بعنوان "**ثورة الشباب**" يشرح بشكل مستفيض معني الثورة وعلاقتها بالقوي الاجتماعية من حولها ويركز علي حالة مصر تاريخيا من ثورة عرابي وحتى ثورة الشباب عام ١٩٦٨م التي طالبت بإعادة محاكمة القادة العسكريين المسئولين عن الهزيمة وسرعة التغيير الثوري لإزالة آثار النكسة, ويوضح في مقدمة الكتاب الفرق بين الثورة وغيرها قائلاً "**والفرق بين الثورة والهوجة** أن الهوجة تقتلع الصالح والطالح معا.... أما الثورة فهي تبقي النافع وتستمد منه القوة" كما نشطت مجلة الطليعة التي كانت تصدر عن مؤسسة الأهرام وتضم نخبة من كتاب ومفكري اليسار المصري في بعض أعدادها حول قضية الثورة والثورة المضادة.

وفي السبعينيات وبعد رحيل جمال عبد الناصر وتغير توجه السياسة المصرية داخليا وخارجيا بعد حرب ١٩٧٣م قدم غالي شكري كتابة الهام بعنوان "**الثورة المضادة في مصر**" يبدو أنه المحاولة الأولي للكتابة حول هذا المفهوم باللغة العربية.

ثم هدأ أو انقطع الحوار حول المفهوم في الإعلام والكتابات السياسية, حتى قيام ثورة ٢٥يناير ٢٠١١ في مصر, وما نتج عنها وما تم في مراحلها من أحداث

متداخلة وملتبسة مما أدي لاستدعاء المفهوم مرة أخري ولتدفق الأفكار والكتابات الصحفية حوله وانتعشت الأقلام في محاولة لفهم ما حدث وما سيحدث وما تنذر به من أخطار مخالفة تماما لكل ما نادت به جماهير الثورة وضحي من أجلها الشهداء مما يعطي مصداقية لمقولة جمال عبد الناصر بأنه "**حيث توجد الثورة توجد الثورة المضادة**".

وأستخدم المفهوم بكثرة في المقالات الندوات والبرامج الحوارية بالتليفزيون وخاصة من قبل النشطاء والمحللين بعد وصول تيار الثورة المضادة للسلطة وأدائها المتصادم والمتعالي والإقصائي المعتمد علي أساس مبدأ المغالبة لا المشاركة والاستحواذ علي السلطة والعداء اللاعقلاني لمؤسسات الدولة ومحاولة تفكيك أركانها وإرباك حركتها في إدارة دولاب العمل اليومي واستبعاد القوي السياسية واستخدام البعض منها لأغراض أو لفترات محددة ثم التصادم معها.

لكن الاستخدام المفرط لأي مفهوم كالاستخدام المفرط للقوة, عادة ما يأتي بنتائج عكسية, ومما زاد الأمر تعقيدا هو الاستخدام غير المنضبط علميا للمفهوم في وسائل الإعلام المختلفة مما زاد من حالة عدم الفهم والضبابية حول المصادق المعبر عن مفهوم الثورة المضادة في الواقع السياسي والمصري بعد الثورة لذلك باتت جميع القوي السياسية تستخدم المفهوم ضد بعضها مما شكل حاله من السيولة الفكرية الخطرة التي باتت تحتاج إلي تحديد.

فهل كان التعليم خلال تلك المراحل المفصلية من تاريخ مصر صانعا للثورة أم كان حاضنا للثورة المضادة ومبشرا لها؟

- مرحلة تكوين الدولة الحديثة من عهد محمد علي إلي ثورة عرابي عام١٨٨١م.
- من الاحتلال البريطاني حتى ثورة ١٩١٩م.
- مرحلة الحكم الملكي وحتى ثورة ١٩٥٢م.
- مرحلة ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.
- مرحلة الانفتاح الاقتصادي والسلام مع إسرائيل في السبعينيات.
- مرحلة الثمانينيات وتغير الدور الاجتماعي للدولة وحتى ثورة يناير ٢٠١١م.

وفي الفترة من منتصف ثمانينات القرن الماضي, وحتى ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١م, ركزت السلطة الحاكمة, على عوامل مثلت هدما للكثير من جوانب ومبادئ فكرة المواطنة, والدولة الحديثة في العقل الجمعي المصري، وساعد بأشكال

مختلفة على تقوية مبررات حركة تيارات الثورة المضادة داخل مختلف طبقات التكوين الاجتماعي وانتشار أفكارها.

٥ – مرحلة ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وقوي الثورة المضادة:

- ما أن نجحت قوي الثورة المضادة في الوصول إلي الحكم في مصر وبعض دول ثورات الربيع العربي بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وراحت تكشف عن طبيعة مشروعها البديل لمشروع الثورة في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي المسبب لقيام تلك الثورات الشعبية ضد الاستبعاد والتخلف والاستبداد. وأسرعت الخطي لتكريس مشروعها المعادي لبنية الدولة الحديثة الوطنية والمستقلة علي حساب مشروعها القديم القائم علي فكرة الدولة الدينية والمستندة علي إحياء حلم دولة الخلافة الإسلامية.
- يلاحظ المتتبع لما جري ويجري في مصر بعد ثورة ٢٥يناير ٢٠١١, من محاولات إنهاك وإضعاف, لقيمة الثورة وقيمتها في نفوس الجماهير تركيز قوي الثورة المضادة علي تشويه معناها الحقيقي, **كرصيد جديد لقوة مصر الناعمة,** والعمل علي تجريدها من تميزها, كأول "**ثورة شبكية**" في التاريخ المعاصر عبرت عن روح العصر وآمال الأمة وأمانيها في الحرية والمساواة والتقدم.
- نجحت قوي الثورة المضادة بأساليب التشويه والتفتيت لقوي الثورة من التسلل داخل صفوفها, والنيل من القيم الحضارية والإنسانية النبيلة التي عبرت عنها, وجاءت الأحداث المدبرة والمتلاحقة, لإثارة النزعات الطائفية, ومحاولات الإحراق المتعمد لرموز تاريخية وحضارية, كالمتحف المصري والمجمع العلمي, وما تبعها من أحداث عنف متوالية من خلطت الأوراق وإرباك القوي الوطنية, ويدا المشهد المتكرر لسقوط المزيد من الشهداء بعد رحيل النظام مؤكدا علي تآمر لقوي الثورة المضادة بكل أطرافها وأطيافها ضد الثورة الجديدة.
- كان لما أطلقته الثورة من شعارات, وما قدمته من تضحيات, أكبر الأثر في نمو مبدأ المواطنة كإطار حاكم للعلاقة بين سلطة الدولة والمجتمع, في المنطقة كلها, وبدأت إرهاصات مطالب مجتمع جديد ضد أشكال الاستبداد والقهر بكافة صورة.

- تعددت أساليب الثورة المضادة بعد نجاحها في الوصول إلي السلطة بعد انتخابات ٢٠١٢ في تفريغ الثورة من مضمونها ومعناها الحضاري والتاريخي.
- وبحرفية لا تخلو من المؤامرة استخدم الدين في تزييف الإرادة الشعبية, كما استغل الرصيد المتفشي من الأمية والفقر لاستنزاف روح الثورة وقيمها قبل أن تضاف لرصيد القوة الناعمة التي بعثتها الثورة من جديد.
- يبقي التعليم من أهم عناصر قوة مصر الناعمة بكل ما يمثله من دور حضاري وتاريخي ومنصة إطلاق لقوي مصر الناعمة عبر مراحل تطورها الحديث, فقد ظل هدفا للتخريب طوال عدة عقود من قوي الثورة المضادة وكانت محاولات السيطرة عليه وإنهاك قواه وتشويه بنيته وغاياته, من أولويات عملها وتمت عملية تجريف منظم لما رسبه التعليم الحديث في بنية الثقافة والهوية القومية من عناصر الممانعة والعقلانية وما خطه في العقول من الإيمان الحق.
- وسرعان ما بدأ الحصار ثم الانقضاض من قوي الثورة المضادة علي مكونات قوة مصر الناعمة بعد نجاحها في الوصول إلي مفاتيح السلطة والدولة وراحت تهاجم ما لم تستطع التسلل إليه والتحكم فيه وتوجيهه لخدمة مخططها لإهدار وتفكيك ما تبقي لمصر من قوي ناعمة في محيطها العربي والإسلامي والإفريقي.
- هاجمت وشوهت قوي الثورة المضادة التي تمركزت في السلطة بعد انتخابات ٢٠١٢ من خلال أحزاب وجمعيات دينية قديمة ومستحدثة, معلنة وسرية, كل مواقع ومفاصل مؤسسات الدولة المصرية ومرتكزات قواها الناعمة المدنية في الوزارات المعنية بالتعليم والثقافة والخدمات الجماهيرية, كما هاجمت أهم منبر ديني يمثل قوة ناعمة لمصر ممثلا في الأزهر كدور ومؤسسة ورمز وأطلقت عليه مجموعة من الفضائيات المضللة والمرددة لخطاب ديني تحمل جل مفرداته توجه مذاهب صحراوية تخلي عنها أصحابها بعد أن ارتوي من نبع الحضارة المعاصرة وباتت تعاني الذبول في مكان منبتها, وحاولت فرض عباءتها علي أتباعها الجدد مستعينة بفيض موارد نفطها واشتداد فقر وحاجة من جاورها دون أن تنسي ثأرا تاريخيا يؤلمها من سكان هذا الوادي الذي لبي حاكمة محمد علي أمر الخليفة

العثماني بالقضاء عليها باعتبارها فتنة ومشروع مناقض ومعادي لمشروع النهضة الحديثة وبناء الدولة المدنية.

- كما هاجمت قوي الثورة المضادة الحضارة الفرعونية والآثار التي ترمز لها بل هددت بتدميرها ونسيت الامتداد التاريخي والتواصل الحضاري للأمة، وهاجمت الإنجازات التي حققها الشعب المصري في ثورة يوليو, وهاجمت رموز الفكر والإعلام والصحافة التي لا تتفق مع مخططها وأفكارها.
- ولم يكن ذلك ممكنا دون محاولات هجوم واعتداء صريح علي مؤسسات أخري تمثل بعض من القوي الناعمة المصرية مثل مؤسسة القضاء وتشويه تاريخ مصر الدستوري والذي بدأ منذ بدايات القرن التاسع عشر بممارسات ونصوص دستورية هي مصدر وروافد لبعض من قوانا الناعمة.
- ومع كل يوم تزداد الصورة وضوحا ويشتد الصراع بين الثورة وقوي الثورة المضادة في مصر ومحوره الأساسي هو صراع تاريخي حول هوية مستقبل القوة الناعمة التي تشكل رمانة الميزان لصراع ممتد بين مشروع الاستنارة والمواطنة والدولة الحديثة من جانب, ومشروع التفكيك والتفتيت وأحلام دولة الخلافة ليعود الحكم لمفهوم الراعي والرعية والجماعة والعشيرة علي حساب الوطن والمواطنة.
- وتحالفت قوي عالمية وقوي إقليمية ووحدت أهدافها, فضلا عن امتلاكها لموارد مالية وإمكانيات علمية وإعلامية مستخدمة في تلك الجولة من الصراع مفردات دينية تجيد تقديمها حسب الحاجة والحالة للمتلقي وللظرف السياسي الذي تعمل في إطاره.
- علينا أن نعترف بأننا نجني ثمار أخطائنا أكثر من تجني أعدائنا علينا, والقائمة تطول منذ بداية تكون الدولة الوطنية وفشلها وتصدع المشروع القومي وانهيار المد الثوري, وصولا إلي نموذج الدولة الرخوة والمؤسسات الفاسدة والزعامات الفاقدة للأهلية والشرعية بعد تخليها عن الثورية, والتي خلفت الأخطاء والخطايا الجسام , مما جعل الآخر يقدم نفسه كمشروع بديل هو المفضل لقوي الثورة المضادة في الداخل والخارج.

٦- مرحلة ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م الشعب يسترد إرادته ودولته:

كما لم يحدث في التاريخ المعاصر من قبل وبعد أقل من عام واحد من سيطرة قوي الثورة المضادة علي السلطة خرجت جموع المصريين لترفض وتثور

من جديد علي كل ما حدث من عوار سياسي ودستوري وديني خلال فترة حكم قوي الثورة المضادة , وبتأييد من الجيش لحماية أسس وبنية أقدم دولة في التاريخ تمكن الشعب المصري من فرض إرادته وإسقاط سلطة الثورة المضادة لتتكشف كل جهات التآمر داخلية وخارجية والتي لازالت تحاول من جديد خوض معاركها ضد التحديث والحرية والاستنارة.

- كشفت المرحلة التالية لثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م عن مناطق الضعف والاختراق التي لازالت مصدر قلق وخطر لابد من مواجهتها والعمل علي معالجتها بعلمية وموضوعية نذكر من أهمها ما يلي:

- اختراق واضح من فكر الثورة المضادة لمنظومة وقيم وتوجهات التعليم المصري بكل أنواعه ومستوياته ومراحله وأضعفت من تأثيره التنويري والجماهيري المطلوب.
- ضعف الأطر الثقافية والمؤسسات الاجتماعية الرسمية وفشلها في فهم واحتواء مشاكل الشباب وترك ميادين التعامل فيها للجمعيات والجماعات الداعمة لفكر وتوجهات تيارات الثورة المضادة.
- اختراق كليات التربية والكليات العملية بمختلف الجامعات من أعضاء ينتمون لفكر تيارات الثورة المضادة منذ عمليات التوسع في التعليم الجامعي في نهاية عقد السبعينيات من القرن الماضي مما سهل فيما بعد غزو التعليم قبل الجامعي بمعلمين ينتمون ويميلون لهذا الفكر وهو ما نشهد ونعاني من نتائجه المفزعة الآن داخل الجامعات وخارجها.
- ضعف قيم الانتماء الوطني لدي فئات من الأجيال الجديدة التي شوهت أفكارها وزيف وعيها داخل مؤسساتنا التعليمية وخارجها علي مدي عقود.
- تفكك النخب السياسية والثقافية وخيانة البعض منها لأفكار الحداثة والديمقراطية والحرية أما لمصالح شخصية أو فئوية مما يقلل من فرص الانتقال لمرحلة الانطلاق بمشروعات الاستقرار والبناء.

خاتمــة:

كان التعليم هو أرض المعركة التي خسرناها أمام قوي الثورة المضادة بعد أن تركنا لها مقدراته وبنيته مرتعا لمدارسها وأفكارها تتسلل لكل مكونات برامجه ومؤسساته وبعض من مؤسسيه ممن لازلنا نسميهم مفكريه التربويون.

لكنه يظل أيضا هو أرض المعركة المستقبلية والحقيقية بين مشروع الثورة في التنوير الحرية والتقدم والتحديث والاستقلال الوطني, ومشروع الثورة المضادة بكل تياراتها وفصائلها في الداخل والخارج والداعي للتبعية للخارج والمعادي للتقدم والتحديث والهادم للوطن كفكرة وكيان باسم دولة الخلافة.

وبعد تحديد الهدف وأرض المعركة فلا يبقي إلا العمل والالتحام مع الواقع الاجتماعي والتربوي بكل ما به وما عليه من ملاحظات وإشارات ومشكلات لنخرج تعليم ومتعلم جديد ينتسب لأمة أبهرت العالم وصنعت التاريخ وقلبت موازين وأفشلت خطط قوي كبري ظنت أنها تملك العالم وتتحكم في مقدراته.

أيها التربويون تلك هي المهمة فهل تقبلونها وتقدرون مسئولية تحمل أهميتها وأعباء همومها؟

هوامش الدراسة:

غالي شكري, النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث, الدار العربية للكتاب, القاهرة, ١٩٨٣.

- أيضا للمزيد في ذلك يرجع إلي:
- عبد العظيم رمضان, صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ -١٩٥٢م, المؤسسة العربية للدراسات بيروت, ١٩٧٨م.
- رمزي زكي, فكر الأزمة, مكتبة مدبولي, القاهرة, ١٩٨٧م.
- ----------, الليبرالية المستبدة, سينا للنشر, القاهرة, ١٩٩٣م.
- ----------, وداعا للطبقة الوسطي, تأملات في الثورة الصناعية الثالثة والليبرالية الجديدة, مكتبة الأسرة والقاهرة, ١٩٩٨م.

يعبر مفهوم ما بعد الحداثة Post Modernity عن مرحلة من التطور الإنساني, شملت جوانب الحياة والعلم والأدب والفن. وأشهر من تناولها من الفلاسفة كل من: ليوتار Lyotard ودريدا Derrida وميشيل فوكو Foucault. وتوصف بأنها حالة مغايرة ورافضة للنظريات والفلسفات المغلقة والأفكار الشمولية التوجه ذات البعد الميتافيزيقي, وقد واكبت تنامي وأتساع الثورة العلمية والتكنولوجية وثورة الاتصالات, كما أسهم هابرماس Habermas وأتباع المدرسة النقدية في وضع الأسس النظرية لتناول تأثيرها المجتمعي والثقافي, وقد ارتبطت بما عرف بفكر الـ- ما بعد – والتي نقدت ونقضت الأفكار المرتبطة في الفكر الغربي بمرحلة المجتمع الصناعي.

للمزيد عن الحقبة الناصرية يرجع إلي:

-جمال عبد الناصر, مفهوم العمل السياسي, غير مبين الناشر والتاريخ.

- ----------, مجموعة الخطب والتصريحات, الهيئة العامة للاستعلامات, القاهرة.

-مارلين نصر, تحليل الخطاب الناصري , مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت.

-سعد الدين إبراهيم, مصر تراجع نفسها, دار المستقبل العربي, القاهرة ١٩٨٣م.

-محمد حسنين هيكل, لمصر لا لعبد الناصر,مركز الأهرام للترجمة, القاهرة, ١٩٨٧م.

-محمد جابر الأنصاري, تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها, لمؤسسة العربية للدراسات والنشر.
توفيق الحكيم, ثورة الشباب, مكتبة مصر, القاهرة, د.ت.
مؤسسة الأهرام, مجلة الطليعة, فؤاد مرسي, الثورة والثورة المضادة ع ٣ مارس ١٩٦٩.
غالي شكري, الثورة المضادة في مصر, كتاب الأهالي رقم, (١٥), سبتمبر ١٩٨٧.

عن ثورات الربيع العربي يرجع في ذلك إلي:

-علي حرب, ثورات القوة الناعمة في العالم العربي, الدار العربية للعلوم, ٢٠١١.
- كذلك: نواف ألقديمي, يوميات الثورة من التحرير إلي سيدي بو زيد الشبكة العربية للأبحاث والنشر, ط١, بيروت ٢٠١٢م.
- نبيل عبد الفتاح, النخبة والثورة الدولة والإسلام السياسي والقومية والليبرالية, دار العين, القاهرة ط (١), ٢٠١٣.

للمزيد عن التعليم وقضايا في المرحلة الليبرالية يرجع إلي:

- عبد اللطيف محمود محمد, أثر الممارسة الحزبية علي حركة التعليم في مصر من ١٩٢٣الي ١٩٥٢, ماجستير غير منشورة, كلية التربية جامعة عين شمس, ١٩٨٥.
- يشير مفهوم المجتمعات الشبكية كما تنبأ به مانويل كاسلز في كتابة الشهير "عصر المعلومات والمجتمع والثقافة " بأجزائه الثلاث أعوام ١٩٩٦,١٩٩٧,١٩٩٨م, إلي حالة من الانتقال العالمي تعتمد فيها المجتمعات علي تنظيمان معرفية شبكية تتجاوز التكوينات التنظيمية والرمزية والثقافية والمعتمدة علي مفاهيم قائمة علي المركزية التقليدية والمنظومية البنائية.

وللمزيد يمكن الرجوع إلي:

- السيد يسين, شبكة الحضارة المعرفية, من المجتمع الواقعي إلي العالم الافتراضي, مكتبة الأسرة, القاهرة, سلسلة العلوم الاجتماعية, ٢٠٠٩.
- نبيل علي, ونادية حجازي, الفجوة الرقمية, رؤية عربية لمجتمع المعرفة, عالم المعرفة عدد ٣١٨, الكويت, أغسطس, ٢٠٠٥م.

- نبيل علي, العقل العربي ومجتمع المعرفة, سلسلة عالم المعرفة, الكويت, عدد ٣٦٩, ج١, نوفمبر ٢٠٠٩, ج٢, ديسمبر. ٢٠٠٩.
- يمكن الرجوع في تاريخ تكون الدول في المنطقة العربية وعلاقتها بحقوق المواطنة الي
- مركز دراسات الوحدة العربية, مشروع المستقبلات العربية البديلة, بيروت, ١٩٨٦.
- منيف الرزاز, معالم الحياة العربية الجديدة, دار العلم للملايين, بيروت, ط٥, ١٩٦٦.
- محمد عمارة , العروبة في العصر الحديث, دار الكاتب العربي, القاهرة, ١٩٦٧م.

للمزيد حول الآثار المختلفة للتجربة الناصرية يرجع إلي:

- لويس عوض, لمصر والحرية, مواقف سياسية, مطابع الأهرام, القاهرة، ١٩٧٥م.
- مصطفي مرتضي علي, المثقف والسلطة, دراسة تحليلية لوضع المثقف المصري في الفترة من ١٩٧٠- ١٩٩٥م

حول العولمة وتجلياتها المختلفة يرجع إلي:

- مايك فيدرستون, ثقافة العولمة, القومية والعولمة والحداثة , ترجمة عبد الوهاب علوب, المشروع.
- القومي للترجمة, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة ٢٠٠٠م.
- ---------, الثقافة الاستهلاكية والاتجاهات الحديثة, ترجمة محمد عبدالله المطوع, دار الفارابي, بيروت, ط١, ١٩٩١م.
- جون جريفيس, ثلاث رؤى للمستقبل, ترجمة رءوف وصفي, مكتبة الأسرة, القاهرة, ٢٠٠٩
- السيد يسين, أعادة اختراع السياسة من الحداثة إلي العولمة, مكتبة الأسرة, القاهرة ٢٠٠٦م.
- -------- الخريطة المعرفية للمجتمع العالمي, مكتبة الأسرة, القاهرة, ٢٠٠٨م.

خالد محمد خالد, مواطنون لا رعايا, ط٤, مكتبة وهبة, القاهرة, ١٩٥١م.

– ------, لكي لا تحرثوا في البحر, مكتبة الأنجلو والخانكي, القاهرة, ١٩٥٥م.

للمزيد حول دور التعليم المصري في فترة الاحتلال وما قبلها يرجع إلي:

– جرجس سلامة, أثر الاحتلال البريطاني في التعليم في مصر ١٨٨٢–١٩٢٢, مكتبة الأنجلو, ط١, ١٩٦٦م.
– سيد ابراهيم الجيار, تاريخ التعليم وأبعاده الثقافية, مكتبة غريب, القاهرة , ط٢, ١٩٧٧م.
– جوديث كوكران, التربية في مصر, ترجمة أحمد شفيق الخطيب, القاهرة ١٩٨٩م.
– ف. روبرت هنتر, مصر الخديوية , نشأة البيروقراطية الحديثة, ترجمة بدر الرفاعي, المشروع القومي للترجمة, المجلس الأعلى للثقافة, ٢٠٠٥م.
–محمد حاكم, أيام محمد علي, التمايز الاجتماعي وتوزيع فرص الحياة, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة ٢٠٠٧م.
–محمد صبري السوربوني, نشأة الروح القومية المصرية ١٨٣٦– ١٨٨٢م, ترجمة ناجي رمضان مكتبة الأسرة, القاهرة ٢٠٠٩م.